

الكتابة المسماة «ابلا»

د. عدنان البني
المديرة العامة للأثار والمتاحف

الى ضحولة بعض الاستقراء التاريخي
وركاكته .

ب - مطالع الكتابة :

تكلم الانسان بضممة ملايين من السنين
قبل ان يكتب . وارتقى من الكلام البسيط
الذي يعبر عن بعض الفرائز والحاجات والمشاعر
الى صياغة النثر الفني وقرض الشعر قبل أن
يعرف الكتابة . وعندما توصل أسلافنا القدامى
الى الكتابة لم يدونوا بها ، أول الأمر ، شعرا أو
نثرا بل مذكرات وكان احدهم يسجل ما
يريد أن يذكره ، أو ما يخشى أن ينساه . وذلك
بالشكل البسيط (خطوط تذكره بالعدد أو
صورة مختزلة تذكره بانسان أو حيوان أو
شيء) .

وكانت عملية التسجيل هذه مرتبطة
باستقرار الانسان وانتاجه للقوت وقيامه بعملية

٢ - تمهيد :

الهدف الأساسي من بحثنا هذا هو « ابلا »
حاضرة المملكة الشهيرة التي سادت شمالي بلاد
الشام منذ أكثر من أربعة آلاف عام والتي
كشفت عنها معاول التنقيب في موقع تل مردوخ
قرب بلدة سراقب ، وكذلك قصة اكتشافها ،
وبصورة خاصة ، أهمية محفوظاتها المسماة .
ونأمل أن نقدم بعض التقديرات والمواقف
الجديدة حول هذه المحفوظات التي « ملأت
الدنيا وشغلت الناس » والتي أثير حولها ، على
الصعيد المحلي والعربي والعالمي ضجيج وجدل
وتخرصات .

ولكن ، باديء ذي بدء ، لا بد لنا من
عودة ، قد تكون طويلة نوعا ما ، الى الكتابة
المسمارية ومشاكلها حتى تتوضح لنا ، ونحن
بصدد محفوظات ابلا ، الأسباب التي جرت

تخزين فائض انتاجه وممارسة المبادلة أي المقايضة ثم التجارة . على أن الانسان قام أيضا بتسجيل الأشكال والصور لأغراض أخرى غير اقتصادية كأغراض العبادة والسحر والاعراض الجمالية أيضا .

والنظرية « الكلاسيكية » المقبولة حتى الآن تقول بأن :

هذا التسجيل البدائي تم في الرافدين (والهلال الخصيب اجمالا) ومصر قبل أية منطقة أخرى في العالم . وذلك لسبقهما في الاستقرار والانتاج بسبب ملاءمة المناخ والبيئة ، ومر بطور تصويري بحث يعود للالف الرابع قبل الميلاد (حوالي ٣٥٠٠ ق م) ويسمى عادة الطور شبه الكتابي (١)

وقد سجل الانسان القديم عملياته ومذكراته اذا صح التعبير ، بالخطوط والصور على المواد المتوفرة لديه وهي بصورة رئيسية الطين المجفف في بلاد الرافدين وما حولها والبردي في مصر .

وكانت الكتابة بالأصل صورا على جانب من الوضوح ثم اختزلت نوعا ما وتدرجيا حتى انقطع الشبه بينها وبين الأصل تماما خلال القرون (٢)

وقد عثر في موقع اوروك وموقع جمدة نصر في الرافدين في السويات الأثرية التي تعود لطور ما قبل السلالات في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد على رقم (اي الواح من الطين) عليها رسوم منفذة بأقلام من القصب غالبا ، تمثل نخيلا وأسماكا وعصافير

الخ وأعتبرت هذه الرسوم مذكرات تتعلق باحصاء ممتلكات المعابد والأفراد . فهي من نماذج الكتابة التصويرية التي تطورت فيما بعد وأصبحت تعبر بالتدرج عن المعاني المجردة .

ج - الكتابة السامرية :

والتفق عليه حتى الآن أن أول من استخدم الكتابة من الرافدين هم السومريون (٣) وكانت كتابتهم ، كما أسلفنا ، أول أمرها كالهيروغليفية المصرية (أي تصويرية) . وكان الكتب السومريون

(١) الآن تروج نظرية جديدة عن طور أسبق يعرف بالكتابة ذات الأبعاد الثلاثة التي يعود أقدم نماذجها للالف التاسع قبل الميلاد وتستمر بعدها بضعة آلاف من السنين . وتتشكل هذه الكتابة من كتل الطين المختومة أو الأشكال الطينية الكروية والهرمية والمخروطية التي كانت تدل على أرقام وأصناف من المنتجات . وقد وجدت نماذج منها في مواقع عديدة من غربي آسيا . وليس من هدف هذا البحث التمهيدي التوسع في شرح هذه النظرية الجديدة التي لم تزل ، على كل حال ، موضع أخذ ورد والتي تروج لها خاصة السيدة شمادت بيسيرا .

وفي سورية وجدت في مواقع حوبة الكبيرة وتل قناص وجبل عرودة في الفرات الأوسط نماذج من هذه الكتابة تعود لآخر الألف الرابع قبل الميلاد .

(٢) بالنسبة للكتابة الهيروغليفية التصويرية في مصر ظلت الصور واضحة سليمة حتى آخر عهود مصر في ظل الرومان ولكن ثمة كتابة موازية مختزلة لينة هي الهيراطيقية (أي المقدسة) وأخرى شعبية هي الديموطيقية .

(٣) هذا الموضوع لم يزل موضع أخذ ورد أيضا فثمة علماء يعتقدون أن السومريين أخذوا أيضا من الرافدين قبلهم .

راجع :

Joan Oates , Babylon , London , 1979, P. 19

اليد التي كانت بالأصل ليد الانسان ولا تعني الا اليد، أصبحت لها القيمة الصوتية « شو » « لأن » « يد » تسمى « شو » لدى السومريين وأصبحت هذه الاشارة تستخدم لتسجيل صوتياً كل كلمة فيها المقطع « شو » .

وثمة ملاحظة هامة ، ونحن بصدد موضوع الكتابة المسمارية فان اشارات الكتابة محدودة العدد اما الافكار فلا تقع تحت حصر . ولا بد من التعبير باشارة واحدة عن كل الافكار القريبة من معناها الأصلي . فشكل القرص لا يعني الشمس فحسب بل فكرة النهار وفكرة الضياء وفكرة البياض الخ . ولما كان كل من هذه الافكار له اسم مختلف فان اشارة القرص الأصلية قد

(٤) الامر الذي اقتضى فيما بعد لتسهيل عملية التبادل الفكري والتجاري قيام الكنعانية في أوغاريت ومن ثم في جيل الى القفزة النوعية التي اوجدت الكتابة الصوتية الخالصة المعروفة بالا بجدية والتي غزت العالم اجمع .

(٥) استخدم الطين لنصرة الحجر في الرافدين ولعدم ملائمة المناخ الرطب لحفظ الوثائق المكتوبة على الجلود وغيرها .

(٦) المعروف أن كلمة المسمارية (الكونيفورم) مشتقة من اللاتينية (كونوس تعني مسماراً أو اسفيناً) الا أن البابليين القدامى أنفسهم كانوا يسمون تلك الكتابة (تيكيف سانتاكي) أي « برقشة الاسافين » راجع :

J. Nougayrol, *Ecritures cuneiformes, dans : Notice sur les caractères étrangers anciens Et modernes (reunis par Charles Fossey)* Paris 1948 , P. 17

كما ذكرنا يرسمونها بشكل مبسط وهذه الأشكال تمثل كلمات . وهذه الكلمات هي ما تمثله هذه الأشكال (رجل ، بيت ، ثور ، شجرة الخ) ثم أخذوا يستعملون هذه الأشكال للتعبير عن بعض المعاني والأفكار (مثلاً الشمس تعني الضوء والحرارة ، والقدم تعني الحركة والمشي) وبذلك أصبحت الكتابة (ايديوغرافية) أي رمزية تعبر عن افكار . ثم اقتضت الحاجة التعبير بشكل أدق عن تلك الأفكار ولويناتها، وعن المعاني الأخلاقية والعواطف فصارت الأشكال السابقة او بعضها لا يستخدم للدلالة على الأشياء المادية التي تمثلها بل للتعبير عن الأصوات والمقاطع الصوتية . فاصبحت الكتابة - ولو جزئياً - صوتية ، ولكنها ظلت تعطي لبعض الأشكال قيمة رمزية أحياناً وقيمة صوتية أحياناً أخرى . وفي ذلك صعوبة بالغة في القراءة والكتابة اتصفت بها الكتابة السومرية^(٤) المعروفة بالاسفينية أو بالمسمارية (كونيفورم) .

أمّا تسميتها بالمسمارية فمردها الى أن الأشكال تطورت من الصور الى الرسوم الخطية المبسطة ، كما ذكرنا ، والى اشارات مجردة بعيدة الصلة بالأصل تكتب على ألواح الطين (الرقم^(٥)) بأقلام خاصة تعطي أشكالاً كالأسافين أو المسمير^(٦) .

د - صعوبات الكتابة المسمارية :

قلنا إن الكتابة المسمارية كانت تصويرية رمزية ثم أصبحت صوتية . وفي غالب الأحيان لم يعد فيها علاقة بين الصورة والصوت ، فاشارة

أصبح لها قيم صوتية جديدة .
ومن هنا فان اشارات الكتابة المسمارية يمكن ان
تعبر عن اصوات عدة تصل احيانا الى خمسة
عشر أو عشرين فالاشارة **𐎶** يمكن أن
تقرأ :باب ، فير ، خيش ، لآخ ، فاردام ،
تو ، أو ، أود^(٧) .

وبالمقابل فان لفظة واحدة تعطي في لغة من
اللغات معنيين أو عدة معان (أي بينهما جناس
تام) . ولكن في كتابة رمزية كالمسمارية
السومرية نجد المعاني المشتركة لفظيا لا بد أن
يكون لكل منها اشارة خاصة وبالتالي
فان العديد من الاشارات تدل على لفظ واحد .
فهناك مقطع يلفظ **تو** يمكن التعبير
عنه بحوالي عشرين اشارة^(٨)

والاشارات يمكن أن تستخدم للتعبير عن كلمة
او عن مقطع لفظي ، وليس هناك مايدل القارئ
أيهما المقصود الا المعنى العام والسياق .
والكتابة المسمارية من هذه الناحية أيضا تحتمل
التأويل أيضا .

هذا وفي الكتابة المسمارية اشارات تستخدم

قبل الكلمات غالبا وبعدها احيانا لتدل على صنف
او فئة مثلا حجر ، بلاد ، انسان الخ (مثلا
اذا وضعنا قبل « آشور » كلمة « مات »
عرفنا أن المقصود بلاد آشور لأن « مات » تعني
بلاد ، واذا قرأنا « سوماتو ايصور » نعرف أن
المقصود حمامة لأن « ايصور » تعني طيرا
وهكذا) .

وكانت الكتابة المسمارية وضعت أصلا لتسجيل

لغة ملصقة او مدغمة كالسومرية^(٩) وهي
تلائمها فلما اقتضرت السومرية على الامور

الدينية وحلت محلها اللغة الأكادية في الرافدين
وفي أكثر مناطق الهلال الخصيب وما جاورها ،
وكتبت الاكادية بالمسمارية السومرية حصلت
صعوبات جديدة في الكتابة المسمارية . لان
الكتابة السومرية بالاصل غير مؤهلة تماما للتعبير
عنها فالأكادية كالعربية بعض حروفها لها حالات
في اللفظ كالتاء والطاء والثاء والصاد والظاء
والسين والشين^(١٠) ولا تفرق الاشارات المسمارية
بينها . ومن ذلك أن اشارة **𐎶** يمكن أن
تلفظ « جيت » أو « جيط » أو « جيد » حتى
« خيد » و « خيت » .

وثمة صعوبة من نوع آخر فالاشارة

المسمارية التي تعني فكرة او فعلا من الافعال
لا تفرق بين الحالات . فاشارة **𐎶** ولفظها
« شاكاتو » تعني وضع وتعني واضعا كما تعني
سوف يضع الخ^(١١) .

(٧) تسمى مثل هذه الاشارات « بوليفون »
اي متعددة الاصوات .

(٨) تسمى مثل هذه الاشارات الكثيرة
التي تدل على لفظ واحد « هوموفون » أي
مشترك لفظي .

(٩) ان اللغة السومرية هي من الفصيلة
الاورالية - الألطائية وهي فئة من اللغات المدغمة
او الملصقة وفيها جذر فعلي لا يتغير يلصق به
من الاول أو الآخر مقاطع لتغيير أو تصريف
الافعال الخ . .

(١٠) الامر نعرفه بشكل أبسط عند كتابة
العربية بالحروف اللاتينية .

(١١) ففي الحالة الاولى يجب ان نقول
« شاكاتو » وفي الثانية « شاكين » وفي الحالة
الثالثة « ايشاكان » وقام البابليون فيما بعد
بسد هذا النقص بتميمات لفظية لا مجال للتوسع
فيها هنا .

العثور على جذع تمثال نذري بازليتي ، نقش عليه بالمسمارية نص يدل على انه للملك «ابلت لم» ملك ابلا . وابلا مملكة مدينة شهيرة معاصرة للمملكة آكاد (النصف الثاني للألف الثالث قبل الميلاد) كانت الآراء متضاربة حول موقعها^(١٤) الا أن هذا التمثال يعود للملك من ملوك السلالة الأمورية التي حكمت ابلا بعد ذلك في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد . وكان تنقيب البعثة الإيطالية مركزا على سوية تقابل العهد المذكور والعهد الأحديث .

و — رقم ابلا المسمارية ومضمونها :

ومنذ ١٩٧٣ أخذت البعثة المذكورة تنقب عن قصر منيف متين البنيان ، بعض جدرانه محفوظ حتى ارتفاع خمسة أمتار وهو غني بالآثار . وقد تأكد لها أثريا أنه يعود للنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد . وفي حجرة من حجرات القصر وقعت للبعثة المنقبة مفاجأة تعقد الألسنة دهشة ! فكل السجلات الرسمية «أرشيف» مدينة ابلا ومملكتها وجدت دفعة

(١٢) راجع :

P. Garelli , L' Assyriologie , Que Sais — Je, Paris, 1964 , P. 14

(١٣) في ١٢ نيسان ١٩٥٥ عثر في تل مردوخ صدفة على جرن بازليتي مزخرف وعلى جزء من رقيم .

(١٤) ذكرت خلال قرون طويلة في نصوص مملكة آكاد ومملكة لاغاش ومملكة أور الثالثة ومملكة ايسن (في الرافدين) وفي نصوص الآلاخ (تل عوشانة في سورية وحاليا في اللواء السليبي) وفي النصوص المصرية . واقترحت لموقعها مواضع شتى ممتدة بين ايران وسورية .

وفي صدد صعوبة هذه الكتابة يقول بول غاريللي « ازاء هذه الطريقة (المعقدة) في الكتابة كان لا بد للباحثين الاوائل من ان يضلوا سواء السبيل . وما ان يتوصلوا الى معرفة قيمة او لفظ اشارة من الاشارات في احد الاسماء حتى يتضح لهم ان هذه الاشارة تقرا بشكل مفاير في اسم آخر ، الامر الذي لا بد ان يزرع الشك بالنسبة لقراءة الاسم الاول (١٢) » .

وهنا نصل الى لب المشكلة فهذا الأمر ، ان يضل الباحثون سواء السبيل ، هو الذي حصل في أحيان كثيرة بعد اكتشاف محفوظات ابلا وأدى عن حسن نية أحيانا وعن سوء نية في أحيان أخرى الى التأويلات الخاطئة التي أخذت الآن تتلاشى واحدة تلو الأخرى .

ولكن قد يكون من الضروري هنا وبعد هذه المقدمة الطويلة التي لا بد منها أن نراجع قصة ابلا ومخفوظاتها من البداية ونلخصها للقارئ العزيز ولو على سبيل التذكرة .

★ ★ ★

ه — كشف ابلا في تل مردوخ .

لم تكن بعثة جامعة روما الأثرية ، برئاسة الاستاذ باولو ماتيه ، عندما باشرت التنقيب في تل مردوخ (قرب سراقب وعلى يمين الطريق الداهية الى حلب وعلى بعد ٥٥ كم منها) تعرف اسم المدينة الجاثية في هذا التل الرحيب المحاط بنطاق من بقايا الأسوار المنيعة والذي سبق أن ظهرت فيه بعض الآثار الهامة (١٣) . وقد اتضح للبعثة الإيطالية اسم المدينة عام ١٩٦٨ إثر

أخرى • وكان لها أحلاف واتفاقيات سياسية واقتصادية • وقوتها السياسية مستمدة من حيوية اقتصادها ، فتجارها يجوبون البلاد من الاناضول الى فلسطين ومن البحر الابيض المتوسط الى الرافدين ، ويحتمل ان ملوكها كانوا يتبادلون الهدايا ويتعاملون مع فراعنة المملكة القديمة بمصر • كما يتضح من النصوص ومن الآثار ان ابلا كانت تصنع الخشب المنزل والنسيج الجميل والاثاث وتعالج المعادن المستوردة وتبرع في صناعة الحلي وتربي القطعان الكبيرة وتهتم بالزراعة وتوريد الخشب •

وبسبب التجارة شنت ابلا الحرب مرتين على مملكة ماري ، كما تنازعت مع دولة الآكاديين على معادن الاناضول وأخشاب الساحل • ويبدو ان الحروب كانت حامية الوطيس بينهما اتصر في آخر مرحلة منها

(١٥) التقديرات كانت مختلفة وأوردت مبالغ كثيرة حول عدد هذه الرقمة ولكن العدد الصحيح الذي ظهر بعد التسجيل التفصيلي الكامل هو حوالي ٢٠٠٠ رقيم سليم وحوالي ٦٠٠٠ شبه سليم وحوالي مجموع هذين العديدين من الكسور والشظايا •

(١٦) بيتناتو والبعثة الإيطالية تقربها من الكنعانية والعالم غلب يقربها من الأكادية راجع الحاشية ٥٣ •

(١٧) هذا الاصطلاح اللغوي استعمل في اواخر القرن الثامن عشر بتأثير التوراة ثم انتقل من اللغات الى الناس وعلميا لا يوجد جنس سامي بل مجموعة لغات سميت «سامية» ولا بد من أن يتفق الباحثون العرب على مصطلح اصدق •

واحدة متصلة بنار الحريق • وقد سقطت أكواما فوق بعضها من رفوف خشبية زالت بمرور الزمن • ودلت المحفوظات أن هذا القصر كان مقرا لسلالة ملكية سورية حكمت بين حوالي ٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ وعرف من ملوكها ستة أو سبعة • ان الكشف ولا شك فريد في أهميته • ولكن قبل حدوثه مرت كل مكتشفات ابلا السابقة من أوابد ومنحوتات ومنقوشات وخزفيات وغيرها دون أن تلفت النظر كثيرا • والواقع أن عدد الرقيم (أي الألواح الطينية المكتوبة بالمسمارية)^(١٥) ومحتواها شيء يكسف مادونه • وهذه الرقيم محررة بالكتابة المسمارية السومرية التي أطلقنا البحث فيها • أمّا لغتها فهي قريبة من الأكادية في رأي البعض ومن الكنعانية في رأي البعض الآخر^(١٦) أمّا الاتجاه الجديد فيسميها اللغة أو اللهجة الابلية (نسبة لابلا) ويدرجها مستقلة في المجموعة اللغوية المعروفة بالسامية اصطلاحاً^(١٧) •

ان أهمية رقم ابلا - فيما عدا عددها الكبير تنبع أيضا من محتواها الغني بالمعلومات عن تاريخ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد في سورية وفيما حولها ، ومن حيث أنها تشكل أقدم الوثائق المعروفة الدالة على مرحلة تطور مدنية باهرة تحققت في بلاد الشام معاصرة وموازية لميليتها في الرافدين ومصر •

من تلك النصوص التي لم تدرس بعد بشكل نهائي وكاف ، يمكن ان نستشف أن ابلا كانت قوة سياسية كبرى في سورية الشمالية هيمنت على أجزاء أساسية من الهلال الخصيب كحلب وماري (على الفرات) ومناطق هامة

نارامسين ملك الاكاديين حوالي ٢٢٥٠ ق.م. (١٨)
وأحرق قصرها الملكي .

ز . تاويل نصوص ابلا وعثراته :

عند هذه المعلومات العلمية العامة والهامة،
كان المفروض أن يتوقف الانسان بانتظار
الدراسة العلمية الدقيقة لمحتويات الرقم ،
وتصوير الوثائق ونسخها بأمانة ونشرها وفق
المنهج العلمي السديد ولكن صادف أن
اللغوي المختص بقراءة النصوص لدى البعثة
الايطالية الكاهن السابق جيوفاني بيتناتو كانت
لديه على سذاجته الخبيثة ، نزعة مباهاة ورغبة
في تعجيل الشهرة ، فأخذ ينشر التصريحات ذات
اليمين وذات الشمال خاصة خلال جولته في
الولايات المتحدة (١٩) . وما يسأل عن حدث أو
اسم الاويزعم أنه موجود في رقم ابلا . وقد رأينا
في مطلع مقالنا ان الكتابة المسمارية كثيرة
الاحتمالات وتحتل التأويلات وتتقبل — ما لم
يكن هناك رادع من أمانة — كثيرا من الهوى .

ان الاستاذ روبرت ييغس استاذ الآشوريات
في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو والاختصاصي
الذي يعمل منذ ١٩٦٣ على رقم مشابهة لرقم
ابلا مكتشفة في ابو صلابيخ بالعراق (٢٠) يؤكد
على صعوبة قراءة وفهم النصوص المسمارية
وتعقيد طريقة الكتابة في ابلا ويقول :

« ان فيها استعمالا كثيرا جدا للاشارات

الرمزية الامر الذي يعني ان الكلمات المقصودة
لا يمكن ان نعرفها الا من مقابلها في اللغة السومرية

ولا ندري ماهي في اللغة الابلية . ثم ان الادوات
التي تربط الكلمات ببعضها لتشكل الجمل قد
لا تكون موجودة اطلاقا . واذا وجدت تكون مكتوبة
بالمقاطع الابلية وعلى هذا لا يمكن معرفة معناها
الا تخمينيا وبالمقارنة مع الفاظ مماثلة في لغة سامية
اخرى . ويبدو في الحقيقة عدم وجود نصوص
مكتوبة كليا بالمقاطع الابلية وعلى هذا فان النصوص
الابلية في الكثرة الساحقة لا يمكن فهمها الا اذا
امكن تفسير الاشارات الرمزية السومرية (٢١) .

ويتابع روبرت ييغس القول وهو يعد
صعوبات قراءة نصوص ابلا :

ان معظم الاشارات المسمارية لها اكثر من
قراءة مقطعية وكذلك واحدة او اكثر من القراءات

(١٨) تباهي نارامسين بانه فتح « ابلا التي
لم يسبق ان اخذها احد من قبل » .
على أن ابلا بعد ان أصابها البوار حوالي
قرنين أفاقت من جديد حوالي مطلع الالف الثاني
قبل الميلاد بسلالة أمورية جديدة . وقد كشفت
البعثة قسراً ملكياً رحيباً من هذه الفترة ومقابر
على جانب كبير من الفنى .

(١٩) زار الولايات المتحدة مع ماتييه لالقاء
محاضرات عن ابلا في نيسان ١٩٧٦ .

(٢٠) ان اقرب النصوص الى نصوص ابلا
هي نصوص ابو صلابيخ ونصوص فارة (شوروباك)
وكلاهما من الرافدين . وحسب شهادة بيتناتو
نفسه هناك حوالي مئة نص من ابلا متماثلة تماما
مع امثالها في فارة وأبو صلابيخ راجع :

G. Pettinato , Gli archvi reali di Tell —
Mardikh Ebla , « Revista biblica » 25, 237 .

(٢١) راجع :

R. Biggs, the Ebla Tablets, Biblical Arch-
eologist , v. 43 Spring 1980, P. 78 .

الرمزية . ثم انه ليس هناك اية مسافة او فاصلة
تفصل الكلمة عن الاخرى . ونظرا لكل هذه
الصعوبات فان من الطبيعي ان تتحسن قراءة
النصوص في الاسماء تدريجيا مع تطور معرفة
العلماء بالمقطعية الابلية . « (٢٢) » .

« ويظن الانسان ان فهم النصوص الاقتصادية
والادارية الابلية هو سهل نسبيا . وقد يكون
ذلك صحيحا بالنسبة لعدد محدود من الحالات
اما في الغالب فان الانسان ، حتى اذا فهم كل
الكلمات ، لايعرف المقصود من النص . فاذا كان
يعرف ان النص يتحدث عن الشعر فلا يدرك
هل الشعر قد صدر او استورد وما هي الغاية
من هذا وذاك . « (٢٣) » .

وكنموذج على اضطرابات القراءة في
نصوص ابلا يورد الاستاذ بيغس المثل التالي :
فقد قرأ بيتيناتو الاشارات آ . ان . غا . دو .
كي . وأعاد ترتيبها بحيث أصبحت آ . غا . دو .
ان . كي . وترجمها « آكاد الملك » (اذ أن
«إن» اشارة ترمز في الابلية الى الملك) ثم تبين أن
«إن» هي في الكتابة المقطعية بنصوص ابلا
تلفظ « رو » وان الاشارات موضوع البحث
يجب ان تقرأ « آروغادو » وهو اسم مدينة !
(٢٤) والآن يكتبها بيتيناتو بشكل « أروكاتو »!
يقول الاستاذ بيغس بعد ذلك إن مثل هذا
التحسين في لفظ المقاطع هو الذي أدى لتصحيح
قراءة الاسماء في نصوص ابلا . ويذكر بالذات
أسماء المدن التي زعم بيتيناتو أنها المدن الخمس
المذكورة في التوراة (٢٥) ، كما سوف نرى بعد
قليل .

ويذكر الاستاذ بيغس مثلاً آخر عن
بيتيناتو وكيف زعم مرة أنه رأى في أحد النصوص
اسم سرجون الأكادي واعتبر بالتالي بلاد آكاد
تابعة لابلا ثم كيف تراجع في مقال آخر وقال ان
قراءته كانت خاطئة (٢٦) ، ويورد مثلاً ثالثاً على
أخطاء بيتيناتو فيقول ان قراءته لاسم «توديجا»
أحد ملوك آشور القدامى رفضت من جميع
قارئى الكتابة المسمارية اللهم الا فريدمان
وداهود (أي جماعته) دون تردد (٢٧) .

والحقيقة أن الباحث يجد أمثلة كثيرة على
أسماء المدن التي « فبركها » بيتيناتو حتى يجعل
آكادو منطقة حبران والجزيرة والاناصول
وسورية الشمالية وقبرص وغزة ومدن فلسطين
في نطاق ابلا وليجعل ابلا بدورها في نطاق
التوراة !

ومن الطرائف في هذا المجال قصة الرقيم
(تم ٧٥ - ١٨٦٠) فقد كان تينيناتو زعم أن
هذا الرقيم يحوي أسماء مدن السهل الخمس
الوارد في التوراة سفر الخليفة (٢٨) وأنها واردة
فيه بترتيب التوراة نفسه :

سادوم ، عمورا ، ادما ، صوبويم ، بالع .

(٢٢) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢٣) المرجع السابق والصفحة ٧٨ و ٧٩ .

(٢٤) المرجع نفسه ص ٧٨ .

(٢٥) المرجع نفسه ص ٧٨ .

(٢٦) المرجع نفسه ص : ٨٠ .

(٢٧) المرجع نفسه ص : ٨١ .

(٢٨) اصحاب ١٢ و ١٣ .

كالتايم والنيوزويك والديلي تليغراف والايكونومست والوول ستريت جورنال وقائمة طويلة أخرى من الصحف الاقل أهمية .. وأخذت هذه الجوقة بصوت واحد تردد أنه طالما ان لغة ابلا قريبة من العبرية ، وان نصوص ابلا تحوي أسماء اعلام وأسماء مدن توراتية فان من المحتمل - بكل بساطة - ان يكون أصل العبرانيين من ابلا . واطافة لهذه « الاكتشافات » الهزلية أخذت تنهم سورية ظلما وعدوانا وبدون أي مستند بعدم الرغبة بنشر هذه الوثائق . وكان المبرز في هذا المجال

(٢٩) ورد ذلك في مقال كتبه دافيد نويل فريدمان اشد المروجين التوراتيين المتصهينين لعلاقة ابلا بالتوراة ، فكذب نفسه بنفسه راجع :

Biblical Archeologist, December 1978P.143
(٣٠) راجع مقال بيغن المذكور سابقا ص ٨٢ .

(٣١) ردا على مزاعم عن اخفاء هذا الرقيم ترددت في مواضع خاصة في مقال مسعود كتبه هرشل شانكس في المجلة التوراتية عدد آذار نيسان ١٩٧٩ .

(٣٢) راجع :

Barmant and M. Weitzman, Ebla, A Revelation in Archaeology , New york , Times Book , 1979 , P. 182 .

والمؤلفان صحفي ولغوي يهوديان الفا هذا الكتاب الذي هو بمثابة سرد صحفي لموضوع ابلا عرضا فيه الى النزاع بين ماتيه وبيتناو والسبب بعض مواضع الخلاف وحاولا الظهور بمظهر الاعتدال .

أما بالنسبة للاب داهود فيراجع :

M. Dahood, Ebla and the Old Testament, Vetus testamentum, Supplement 29, P. 106

ثم تراجع تدريجيا وقال أول الامر ان الاسماء ليست مجمعة في رقيم واحد ولكنها موزعة في عدة رقيم . ثم قال بعد ذلك ان ثلاثا من أسماء المدن مغلوبة (٢٩) وأخيرا تبين أن محتوى هذا الرقيم يتعلق بسبائك معدنية وأنه من ناحية اللغة الابلية وكتابتها بالمسمارية لا تستقيم قراءة سادوم ولا عمورا (٣٠) . على ان هذا الرقيم موجود وصوره جاهزة ويمكن لكل عالم او اختصاصي راغب في الحقيقة ان يطلع عليه (٣١) .

وأخيرا تأتي الى طرفه تتعلق بلفظة « يا » التي قال بيتناو خطأ أنها ترد في آخر بعض أسماء الابلية . وزعم في وقت من الاوقات أنها قد تكون في آخر الاسماء للتجيب أو أنها اختصارا لاسم رب ، وقيل لعله يهوه . فلم يوافق أحد من العلماء والاختصاصيين لا على هذه القراءة ولا على هذا الاستنتاج حتى ولا الاب ميتشل داهود أو حتى بارمنت و وايزمان (٣٢) فان « يا » يمكن أن تقرأ أيضاً « إي » أو « لي » أو « ني » .

هذا عن بعض « التخرصات » التي حصلت بمناسبة اكتشاف ابلا وسنعرض للبعض الآخر في الصفحات القادمة .

ح . ابلا والتوراة

تتابع القول فنذكر أنه اثر مثل هذه « التركيبات » الاعلامية ولجت صحافة سياسية في موضوع ابلا بكل مايمكن من سوء النية وقليل على سبيل الطرافة والاثارة ، وهي صحافة معروفة بمعاداتها لسورية بالذات

الدليلي تلغراف (٣٣) والمجلة الاثرية التوراتية (٣٤) .

أما ان لغة ابلا شبيهة باللغة العبرية فان المرء ليتساءل ما هي اللغة العبرية ؟ ليس بين المؤرخين واللغويين من يجهل ان العبرية كنعانية وكتبت بالخط الكنعاني (الفنيقي) ثم بالخط الارامي . وان العبرانيين تكلموا الكنعانية وهي لغة البلاد التي تسربوا اليها فلا يكون تقريب الابلية من العبرية الا للتضليل وسوء النية .

أما ان نصوص ابلا تضم أسماء أعلام شبيهة بما في التوراة فالامر من البدهة بحيث لا يحتاج الى كبير ايضاح فهذه الاسماء كانت منتشرة في المنطقة انتشارا كبيرا وفي كل الهلال الخصيب وظلت ألوف السنين وما تزال وهي في جلها أسماء أكادية أو كنعانية مركبة مع اسم « ايل » أي الاله فترجمتها بسيطة فاسرائيل تعني « الله يسود » أو « أسير الله » واسماعيل تعني « الله يسمع » وميكائيل تعني « من هو كالله ؟ » وقد استخدم العبرانيون اسماء مصرية كموسى واسماء حورية وكل الاسماء الشائعة في منطقة الهلال الخصيب (٣٥) .

ثم ان ابلا سابقة لورود العبرانيين الى المنطقة بألف عام ويزيد بل ليس في نظام الحكم بابلا ولا في تسلسل سلالتها الملكية ولا في نظامها السياسي والاجتماعي ولا في نشاطها الاقتصادي ولا في أصلاتها الفنية والمعمارية ولا في معبوداتها وديانتها وطقوسها علاقة أو شبه علاقة بالعبرانيين . حتى بعد أكثر من ألف عام من ابلا - عندما قدموا الى المنطقة كانوا بداءة رحلا يجوبون

الآفاق مع عيالهم ودوابهم وكانوا حسب قول ويلز

« غير متمدينين وليس لهم كتاب يقرأونه (٣٦) » .

ان التوراة التي يحملها اليهود حاليا هي من تأليف اليهود في سبيهم ببابل خلال القرن الخامس قبل الميلاد وتلك بدئية يعرفها حتى طلاب المدارس الثانوية . ومن المعروف ان هذه التوراة التي وضعها اليهود في بابل وشنعوا فيها على ملوكهم وأنبيائهم واعترفوا فيها باغتصاب الارض وقتل الشعب قد جمعوا في أسفارها أيضا كل ماتعلموه في الوسط الكنعاني والوسط البابلي من قصة الخليفة الى قصة الطوفان الى اسطورة ولادة سرجون الى اسطورة كيريت الى تشاريع حمورابي . وخلاصة الامر ان التوراة فضحت من معين التراث الكنعاني والبابلي والمصري . وهذا هو بالاصل سبب ورود بعض الاسماء ، ان وردت ، والاحداث ينسخ من الاقدم ، وتلك البدئية لا تحتاج الى برهان ، ولا يكون الحصان الا أمام العرب .

ط - العلم يحسم الموقف :

وازاء حملة الافتراء التي سعت لتشويه

(٣٣) عدد ٢٤ نيسان ١٩٧٩ .

(٣٤) عدد آذار - نيسان ١٩٧٩ (مقال شالكس الذي ذكرناه في الحاشية (٣١) .

(٣٥) فاذا كنت عربيا من دمشق او بيروت وسماني اهلي قيصر مثلا فلسست بشكل من الاشكال من اقرباء يوليوس قيصر .

(٣٦)

H. G. wells , the Pocket History of the world , P.92

والآثار وأسهمنا بها شخصيا . وكان عدد البحوث التي أقيمت خلال هذه الندوة كبيرا أربى على الثلاثين . وكانت بحوثا منهجية وعميقة لاتراعي في الحق لومة لائم ، وضعت مسألة ابلا ومكتشفاتها في مسارها الصحيح وأعطت ردا علميا جذريا على التخرصات التي سعت لترويجها، عند اكتشاف محفوظات ابلا أوساط تورائية مشبوهة بعلاقتها الوثيقة بالصهيونية . وكان في حصيلة أعمال الندوة اجماع على ان ابلا لاعلاقة لها من قريب أو بعيد ، لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون ولا بشكل تقريبي ولا بأي وجه من الوجوه ، بالعبرانيين او التوراة أو قضاة العبرانيين أو ملوكهم . فابلا كما ذكرنا في

(٣٧) - راجع كتابه الجديد (ابلا امبراطورية منقوشة على الطين) نابولي ١٩٧٩ . ومقاله في « اورينس انتيكوس » (ابلا والتوراة) العدد ١٩/١٩٨٠ .

(٣٨) - الاساتذة : **ادموند سولبرجر** رئيس قسم المسماريات بالمتحف البريطاني ، **جيورجيو بوتشيلاتي** مدير معهد الآثار واللغات الشرقية بجامعة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة ، **ديتيز اندارد** أستاذ المسماريات واللغات الشرقية القديمة بجامعة ميونيخ ، **هورست كلنفل** مدير الدراسات الشرقية القديمة بأكاديمية العلوم في ألمانيا الديمقراطية ، **جان روبر كوبر** أستاذ اللغات الشرقية القديمة بجامعة لييج ببلجيكا ، **بول غاريللي** أستاذ اللغات الشرقية بالسوريون ، **الفونسو أركي** أستاذ اللغات الشرقية القديمة بجامعة روما ، **بيليو فرو نزارولي** عميد كلية الآداب بجامعة فلورنسة ، د . **فوزي رشيد** اختصاصي المسماريات من القطر العراقي .

(٣٩) - ويرمز لها برمز Aret

(٤٠) الاولى Annali Di Ebla
والثانية Studi Eblaiti

الموقف المتفتح الذي تفقه السلطات المختصة في سورية مع البعثات الاثرية الاجنبية المرخصة بالتنقيب في أراضيها ، و نظرا للسطحية والتفاهة التي كان اللغوي الايطالي جيوفاني بتيناتو ، وما يزال ، يعالج فيها موضوع رقم ابلا ٣٧ ، رأينا في المديرية العامة للآثار والمتاحف وبالاتفاق مع البعثة الاثرية الايطالية العاملة في تل مردوخ ومع جامعة روما ان تفتح ملف ابلا على الملأ .

وسعيا وراء وضع نتائج قراءة رقم ابلا تحت تصرف الاوساط العلمية في العالم بأسرع ما يمكن ، وجهت الدعوة الى الاختصاصيين في قراءة الكتابات المسمارية - السومرية - الاكادية في العالم . وألفت عام ١٩٧٨ لجنة دولية تضم خيرة الاختصاصيين العالميين (٤٨) .

عقد هؤلاء اجتماعات بدمشق وروما وظموا عملهم بشكل جيد وهم يعكفون الآن على دراسات الرقم المسمارية المكتشفة في تل مردوخ/ابلا ، كل حسب اهتمامه ، وستصدر اعتبارا من العام (١٩٨١) أول دراساتهم المفصلة باسم (نصوص محفوظات ابلا الملكية) (٤٩) . كما تصدر البعثة الايطالية من جامعة روما دراسات ومقالات حول مواضيع لغوية وأثرية وتاريخية تفصيلية خاصة بابلا وذلك في مجموعتين الاولى تسمى «حوليات ابلا» والثانية « دراسات ابلية » (٤٠) .

وفي مايس الماضي ، عقدت جامعة روما بين السابع والعشرين والتاسع والعشرين منه ندوة عالمية حول مكتشفات تل مردوخ/ابلا اشترك فيها عدد كبير من علماء اللغات القديمة

القسم الاول من المقال ، تسبق الف عام على الاقل مرور العبرانيين وتفاوق مفارقة صاخبة في شكل المجتمع ودرجة تطوره وفي النشاط الاقتصادي المتقدم وفي نظام الحكم والديانة في أنماط المدنية كلها بالاجمال والتفاصيل تلك الجماعة البدوية الهائمة بين الرافدين ومصر والتي طرأت على الوسط الكنعاني في بلاد الشام وتعلمت لغته وتبنت بعض موروثاته وتقاليده وأساطيره . واذا اتفق وكان هناك أحيانا تشابه في الاسماء ، فاننا يجب ان لانسى ان هذه الاسماء كانت منتشرة في بلاد الرافدين والشام ونعرفها لدى الاكاديين في دولتهم المعاصرة لابلأ جنوبي الرافدين ونعرفها في المحفوظات المكتشفة في موقع « أبو صلابيخ » بالعراق وفي موقع « فارة » ونعرفها في العهد التالية في أسماء الكنعانيين - الاموريين ، وستبقى مستعملة في منطقتنا الى يوم الدين . ولم يستعمل العبرانيون بعض الاسماء فحسب بل استخدموا كما أوضحنا سابقا أسماء مصرية كاسم موسى مثلا .

ان العالم العلمي ليسخر الآن من ذلك العبث اللاعلمي الذي راج في بعض الاوساط الجاهلة بألف باء التاريخ ، حتى ان كل الذين قادوا حملة التشويه والتشويش أخذوا يحاولون الإتصل منها . لقد كان لتلك الحملة أركان ثلاثة وكلهم من بيئة كهنوتية تورائية:

الاول القس دافيد نوبل فريدمان رئيس تحرير مجلة « الآثاري التورائي » في الولايات المتحدة الاميركية والثاني الاب ميتشل داهود رئيس قسم المعهد التورائي بروما والثالث طبعا

هو الكاهن السابق جيوفاني بيتيناتو لغوي البعثة الايطالية سابقا الذي ارتكز عليه الآخرون .

لقد اعترف الاول (أي فريدمان) في مقال جديد له ^(٤١) بأنه كان يعتمد في استنتاجاته على تصريحات شفوية كان يقولها له جيوفاني بيتيناتو او ينقلها له ميتشل داهود . وان الاخير أعلمه مؤخرا ان بيتيناتو اعترف بأنه أخطأ بقراءة عدد من الاسماء التي كان قربها من بعض اسماء المدن التوراتية ، وعلى هذا فهو يتصل منها . وقال فريدمان أيضا في افتتاحية العدد المذكور من المجلة بما يشبه التراجع : « لقد كانت محتوياتها (أي رقم ابلا) موضع صراع ومصدر توهومات وادعاءات معاكسة . » ^(٤٢) كما يقول في صدد المقالة المعتدلة عن ابلا التي كتبها العالم روبرت ييغس في العدد المذكور من المجلة :

« انها حكم معتدل يجد طريقه بوضوح بين زوايا الاثارة الرخيصة وصخور الشك المفرط » ^(٤٣) .

أما ميتشل داهود فيقول في رسالة كتبها لفريدمان تعليقا على مقال له نشره في مجلة « الآثاري التورائي » نفسها ^(٤٤) :

عندما كنت في الولايات المتحدة سمعت أن ثوركيلد جاكوبسون يشك في قراءة بيتيناتو

- (٤١) - مجلة الآثاري التورائي . راجع الحاشية ٢٩ .
(٤٢) - المصدر نفسه ، العدد (٦٨) ربيع ١٩٨٠ .
(٤٣) - المصدر نفسه .
(٤٤) - عدد كانون الاول ١٩٧٩ ص ١٤٣ .

لنصوص ابلا ، وتلك الشكوك عززها تطور معرفتنا بمقاطع الكتابة الابلية » .

أما جيوفاني بيتيناتو نفسه فقد أصدر تصريحاً عممه على العالم وكان قد نشر في صحافتنا المحلية (٤٥) قال فيه :

أما عن الصلات المزعومة مع نص التوراة فاني أشعر ان من واجبي ان أوضح بصورة نهائية ان الانباء التي نشرتها الصحافة وجاءت في بعض مداخلات زملائنا فيما وراء البحار قد ابرزت اتجاهاً وخطراً ، من واجبي لا ان أتصل منهما فحسب بل ان أحذر منهما الاختصاصيين » .

ومنذ أكثر من عام وحتى الآن ظهرت بحوث ومقالات عديدة جديدة في الصحافة العالمية تتصف بالموضوعية وتشهد على انحصار موجة الدجل ، نذكر منها مقالاً في مجلة « ساينس » الأمريكية (٤٦) ومقابلة مع جيورجيو بوتشيلاتي وزوجته في مجلة « ميلووكي ساتيل » الأمريكية (٤٧) ومقابلة مع باولو ماتيه في مجلة « إيستوار » الفرنسية (٤٨) ومقالاً في مجلة « جيو » الألمانية الغربية (٤٩) .

وثمة مقال منصف لايغون ريبيرول في جريدة « لوموند » الفرنسية يمثل هذا الاتجاه الجديد (٥٠) حيث تقول الكاتبة خاتمة بحثها :

ان التفسيرات الركيكة والمتسرعة (لنصوص)

قد أوهمت البعض بقراءة اسم سودوم وعمورا المذكورتين في سفر الخليقة (من التوراة) . كما تردد انه تم الوقوع ولو بشكل مشوه على أسماء ابراهيم وداوود ان الاختصاصيين في اللغات السامية سرعان ما ابطالوا هذه

« الاكتشافات » المزعومة وبينوا أن لغة ابلا بعيدة جداً عن العبرية وأن داوود متأخر أكثر من ألف عام عن ابلا . وتتابع كاتبة المقال قائلة :

« ان هذه (الاكتشافات) المزعومة كانت

كافية لتثير في الصحافة الاميركية حملة لاتصدق نشرت عنها المجلة الاميركية (ساينس) في ٣١ آب ١٩٧٩ سرداً جيداً لهذه القصة . وبعد ان تذكر الكاتبة الاتهامات الظالمة التي وجهت لسورية والسوريين تقول « والآن ان كل الرقم (المكتشفة في ابلا) وحتى اجزاء الرقم التي لها بعض الاهمية قد تم التعرف الى محتواها وسجلها قيد النشر باشراف البعثة الإيطالية واللجنة الدولية وحالياً كل مكتشفات ابلا ورقمها موجودة في متحف حلب . الاولى معروضة للناس والثانية تحت تصرف الاختصاصيين القادرين على دراستها، كما ان صورها قد نشرت بشكل واسع » .

أما في مجال الابحاث المتخصصة العلمية فلا بد من ذكر مقالين أساسيين أولهما لكبير اللغويين في المسماريات السومرية - الأكادية هو أ . ج . جلب من المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو وثانيهما لروبرت بينغس الذي ذكرناه سابقاً و الشهير بتفسيره لرقم أبو صلايخ التي تشابه لغتها ابلا .

-
- (٤٥) — « فلاش » عدد شباط ١٩٧٨ ص ٢٤ .
(٤٦) — العدد ٢٠٥ — ٣١ آب ١٩٧٩ .
(٤٧) — المقابلة في أواسط نيسان ١٩٨٠ .
(٤٨) — عدد ٢٣ مايس ١٩٨٠ .
(٤٩) — عدد ٨ آب ١٩٨٠ .
(٥٠) — عدد ٢٤ آب ١٩٨٠ .

يقول جلب في مقاله :

« ان امور الصلة اللغوية تستند الى اللغة فقط . ولا شيء غير اللغة . وكل ماعدا ذلك من الامور لاعلاقة له بموضوع اللغة . ومن ذلك عبادة الرب دجن الكنعاني في ابلا ، او ورود اسماء اعلام في محفوظات ابلا موجودة في كتاب العهد القديم (التوراة) او الصلات الاثرية بين ابلا وفلسطين الكنعانية ... ان وجود اسماء مثل يعقوبو وشموائل ويشمع ايل في اللغة الامورية ليس له علاقة باشخاص يعقوب وصموئيل واسماعيل في التوراة (٥١) . »

ويذكر في مكان آخر من المقال :

« يتبين لنا من الجدول المقارن ان اقرب الصلات اللغوية للغة ابلا هي مع الاكادية القديمة والامورية ، وابعدها هي مع الاوغاريتية وابعدها منها العبرية (٥٢) . »

أما روبرت ييغس فقد كتب كما ذكرنا من قبل بحثاً حديثاً نشره في مجلة « الآثاري التوراتي » نفسها^(٥٣) ووضع فيه النقاط على الحروف بشكل شبه نهائي على موضوع ابلا ونسف كل الأوهام وانتقد بيتيناتو وميتشل داهود نقداً علمياً . وذكر أن تفسيرات داهود سابقا لبعض فقرات التوراة بالاوغاريتية كانت محل انتقاد واسع .

كما بين تردد بيتيناتو وتناقضاته .

وعند التصدي لزعم بيتيناتو وداهود حول وجود رب باسم (يا) في ابلا قال :

« ان منطقهما غير مقنع البتة » ، ويضيف :

« ان استنتاجات لامبرر لها راجت في بعض الاوساط عن التشابه بين بعض اسماء الاعلام المستعملة في ابلا واسماء يصادفها الانسان في التوراة . وبصرف النظر عن بعض الاسماء التي ذكرها فريدمان فان معظم هذه الاسماء لم ينشر في أي من التقارير ولذلك لا يمكننا التحقق منها . ان اسماء مثل اسماعيل (يعني الرب ايل يسمع) ترد كثيرا في اللغة الاكادية القديمة والامورية . ثم ان عددا كبيرا من هذه الاسماء يصادفه في نصوص أبو صلابيخ ، وفي مواضع أخرى في بلاد الرافدين تعود للالف الثالث قبل الميلاد . وعلى هذا يبدو الدليل واهيا على علاقة وحيدة بين اسماء في التوراة واسماء من ابلا ٥٤ » .

(٥١) — افكار حول ابلا مجلة دراسات سورية رافدية عدد مايس ١٩٧٧ ص ١٦ .

(٥٢) — المرجع نفسه الصفحة ٢٥ .

(٥٣) — العدد ٢/٤٣ ربيع ١٩٨٠ وقد المحنا له سابقا .

(٥٤) — المرجع السابق صفحة ٨٣ .

تنويه

وقع خطأ في اسم كاتب مقال حضارة ايلا المنشور في العدد الماضي من مجلة « التراث العربي » حيث ورد اسم غالب شعث والصحيح هو الدكتور شوقي شعث ..
فمعذرة من الاستاذ الدكتور شوقي شعث .. ومن القارئ ..